أساليب الحرب النفسية ضدّ النبي محمد ﷺ في العهد المكّي

(دراسة وصفية تحليلية)

Psychological War Against The Prophet Muhammad In The Meccan Era

د. عمر ياسين علي
Dr. Omar Yaseen Ali
Imaam Al- Adhum University College

الملخص

خُصصت هذه الدراسة لدراسة العهد المكي من سيرة النبي محمد ﷺ؛ للوقوف على حقيقة قيام المشركين بتنفيذ حرب نفسية منظمة ومخطط لها، وجهت ضد النبي محمد ﷺ؛ بهدف الضغط النفسي عليه واجباره على تغيير قناعاته وترك التعريف بالإسلام والدعوة إليه، وعملت الدراسة على تحليل النصوص ثم تقديم النتائج على شكل احصاءات وأرقام توضح عدد المواقف التي استعمل فيها الحرب النفسية وصيغتها وكل ما يتعلق بها من تفاصيل تنفيذية، وقد استخدم الباحث منهج الدراسات الوصفية التحليلية، الذي أثبت وجود ٨٠ رسالة حرب نفسية موجهة ضد النبي محمد ﷺ بأشكال وأساليب متعددة، وفي نهاية الدراسة أوصى الباحث بضرورة توجه المختصين في العلوم الإنسانية والتطبيقية لدراسة السيرة النبوية من منطلق تخصصهم؛ لتقديم سيرة النبي ﷺ للمجتمع بطريقة جديدة تتناسب وتخصصات الناس، بعيدة عن السرد التاريخي المجرد.

Abstrac:

This study is devoted to the study the biography of the Prophet Muhammad during Meccan era. To find out that the polytheists carried out an organized and planned psychological warfare directed against the Prophet Muhammad; to make psychological pressure on him and forcing him to change his convictions, leaving invite people to Islam, this study worked on analyzing texts and then presenting the results in the form of statistics and figures showing the number of situations in which psychological warfare was used, descriptive and analytical method has been used, Which proved the existence of 80 psychological warfare messages directed against the Prophet Muhammad in various forms and methods, and at the end of the study the researcher recommended that specialists in human and applied sciences should direct to study the Prophet's biography from the standpoint of their specialization. To present the Prophet's biography to society in a new way that suits the specialties of the people, far from the abstract historical narration

المقدمة

المتتبع للأحداث التاريخية التي وثقت بداية تبليغ النبي محمد ﷺ الدين الجديد (الإسلام) إلى قومه، يجد أن عشيرة النبي وأهل مدينته (مكة) قد واجهوا هذه الدعوة بالرفض الشديد من منطلق التعصب على ما هم عليه من دين الآباء والأجداد، ولم يسلم من هذا التعصب المذموم إلا نفراً قليلاً، آمن بدعوة النبي محمد ﷺ منذ بدايتها، كونهم قد حكموا عقولهم ووثقوا بما جاءهم على لسان من كانوا يصفونه بالصادق الأمين، ثم ترسخ إيمان هذه الفئة المؤمنة بعد أن تعرف أفرادهاعلى تفاصيل الدين الجديد، ورؤيتهم المعجزات بأم أعينهم، وبمقابل هذه الفئة كانت هناك فئة أخرى لم تكتف برفض دعوة النبي محمد ﷺ والبقاء على شركهم، بل عمدوا على تحمل مسؤولية وواجب مواجهة النبي ﷺ وافشال دعوته والتضييق عليه وعلى أتباعه، وقد استخدموا جميع الأساليب المتاحة لتحقيق غايتهم.

وتناول المختصون هذه الأساليب كل حسب تخصصه العلمي سواء كان اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً.. ولكن المتتبع لهذه الدراسات يجد أن أهم وأبرز الأساليب التي اعتمدها المشركون في عرقلة دعوة النبي ﷺ لم تأخذ حقها في الدراسة والتوضيح، والمقصود هو أسلوب الحرب النفسية التي تفنن المشركون في تطبيقها؛ بهدف صد الناس عن الإسلام واجبار النبي محمد ﷺ على ترك هذه الدعوة.

وعليه فقد جاءت هذه الدراسة لتبين حجم وقوة هذه الهجمة الشرسة التي استهدفت النبي محمد ﷺ في العهد المكي من سيرته العطرة؛ وسبب تحديد الدراسة بهذه المدة الزمنية دون غيرها؛ كون الحرب النفسية تنشط وتتعاظم ضد الخصوم في حال كونهم ضعفاء عسكرياً واقتصادياً واجتماعياً.. وانها تخف وربما تتلاشى عندما يكون الخصم قوياً، وهذا ما كان في سيرة النبي محمد ﷺ، فقد اشتدت عليه الحرب النفسية في العهد المكي كونه كان قليل القوة، ولكنها خفت في العهد المدني؛ بسبب تغير موازين القوى لصالح النبي ﷺ وجماعته.

وبما أن جميع الدراسات الأكاديمية تبنى على منهجية علمية معتمدة؛ فقد جاءت هذه الدراسة على ضوء المحددات الآتية:

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في عدم وجود أي دراسة علمية أكاديمية رصينة في هذا الموضوع، عملت على تحليل النصوص التاريخية تحليلاً علمياً، بعيداً عن الميول العاطفية للباحث سواء كان مسلماً متعاطفاً مع نبيه ﷺ أو كافراً به متحاملاً عليه ﷺ، فأهميتها تكمن في كونها السباقة في هذا الجهد.

مشكلة الدراسة: تتمثل في تحديد أساليب وأشكال الحرب النفسية التي استعمالها المشركون ضد النبي محمد ﷺ، وتقديمها على شكل أرقام يسهل فهمها والاستفادة منها.

أهداف الدراسة: تعريف علماء الدين والدعاة والمصلحين.. بحجم المعاناة والضغوطات التي تعرض لها النبي محمد ﷺ في سبيل اتمام مهمته وواجبه الشرعي؛ من أجل أن نقدم لهم أُنموذجاً حقيقياً يحتذون به في مسيرتهم التي اختاروها لأنفسهم.

كما تهدف الدراسة لتعريف الناس بالقدرات القيادية للنبي محمد ﷺ الذي استطاع أن ينتصر على هذه الحرب النفسية الشرسة.

منهجية الدراسة: اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، وهو منهج ذو قيمة علمية كبيرة في الدراسات الإعلامية؛ لأنه يعتمد على رؤية الباحث وجهده في تحليل النصوص للوقوف على نتائج علمية معتبرة، ولا يكتفي الباحث بنقل النصوص وتقديم الاستنتاجات.

تقسيمات الدراسة: جاءت الدراسة بمقدمة ومبحثين، المبحث الأول ضم مقصدين: الأول تحدث عن الحرب النفسية وأشكالها، والمقصد الآخر تحدث عن تأثير الحرب النفسية في نفس النبي محمد ﷺ. والمبحث الثاني كذلك جاء بمقصدين: الأول: الوقوف على النصوص التي وردت فيها رسائل حرب نفسية ضد النبي ﷺ، أما المقصد الآخر فقد خصص لتقديم الأرقام والإحصاءات لنتائج تحليل مواقف الحرب النفسية التي وردت في المقصد الذي سبقه، ثم التوصيات، وأخيراً قائمة المصادر والمراجع.

تساؤلات الدراسة: التساؤل الأساس الذي تهدف الدراسة للإجابة عنه هو: هل عمل أعداء النبي محمد ﷺ على ممارسة حرب نفسية منظمة ضده؟

فرضية الدراسة: بنيت الدراسة على فرضية: أن المشركين قد مارسوا حرباً نفسية منظمة ومكثفة ومتعددة الأشكال والأساليب ضد النبي محمد ﷺ في العهد المكي.

عينة الدراسة: وبما أن الكتب التي تحدثت عن سيرة النبي محمد ﷺ كثيرة جداً، فإن الباحث اعتمد على كتاب الرحيق المختوم لمؤلفه صفي الرحمن المباركفوري؛ ليكون مادة لدراسته؛ كون هذا الكتاب قد نال جوائز عالمية رفيعة، وأنه يشكل نقطة اجماع بين علماء الأمة وعوامها؛ كون المؤلف قد حرص على ذكر الوقائع التاريخية الموثقة، والابتعاد عن الروايات التي ليس لها أصل.

ومن أهم الصعوبات التي واجهت الباحث عند اعداده لهذه الدراسة معرفته المسبقة، أن بعض علماء الدين لا يتقبلون فكرة أن يقول باحث من غير اختصاصهم بالتحدث عن كل ما يخص العلوم الشرعية؛ لذلك عمد الباحث على اعتماد أقوال كبار علماء الأمة في تبيان تفسير الآيات القرآنية التي استشهد بها، بل وأن الباحث ربما بالغ في كثرة الاستدلال للسبب المذكور.

والأسلوب العملي الذي اعتمده الباحث في إعداد هذه الدراسة لم يسبق وان اتبعه أحد قبله، من حيث تقديمه للأرقام والاحصاءات، وهي على نمط دراسته في مرحلة الماجستير التي نوقشت في كلية الإعلام بجامعة الجنان

في لبنان عام ٢٠١٨م، وكانت بعنوان: «الحرب النفسية النبوية في العهد المدني» والفارق بين الدراستين ان النبي محمد ﷺ كان قائما على الحرب النفسية في الدراسة الأولى، في حين انه أصبح متأثراً في الحرب النفسية التي وجهت له في هذه الدراسة، مع اختلاف عينة الدراستين التي اعتمدت الأولى على العهد المدني في حين اعتمدت الأخرى على العهد المكي.

* * *

المبحث الأول

- **المطلب الأول: تعريف الحرب النفسية وأشكالها**

تُعرف الحرب النفسية بأنها: «نوع من الاتصال الشخصي والجماهيري، يقوم فيها الداعية باستخدام الرموز: (الكلمة المنطوقة، والمكتوبة، والرسم، والصورة، والإشارة، والأساليب الفنية والنفسية والعلمية الحديثة؛ للتأثير في آراء، وعواطف، واتجاهات، وسلوك المدنيين والعسكريين، في الحروب.. من أجل تحقيق الأهداف العسكرية والسياسية للبلد المعني»[١].

وتعرف بأنها: «مصطلح يشير إلى عمليات التأثير في الأفكار والمعتقدات وتستهدف تحطيم الروح المعنوية للخصوم، وتعتمد على الدعاية ونشر الشائعات والأخبار الكاذبة، أو استخدام الدعاية ضد العدو مع إجراءات عملية أخرى ذات طبيعة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية لما تطلبه الدعاية»[٢].

وتعرف: «هي أخطر سلاح حربي تم استخدامه منذ أقدم العصور، لغرض إثارة الصراعات والفتن بين صفوف العسكريين، وشق وحدة الصف الوطني، وقد برزت الحرب النفسية بأساليب مختلفة وتسللت إلى غرفة العمليات العسكرية وتركت بصماتها بوضوح، وكانت دائماً ترتبط بالمعارك الحربية بصورة أولية، وأشير إليها كعامل أساسي في نجاح أو فشل المعارك، باختصار، إن الحرب النفسية هي فن حربي، ينشر عن طريق الدعاية وبث الشائعات المسمومة..»[٣].

أو هي: «معلومات أو أفكار أو مذاهب أو نداءات خاصة تنشر أو توزع لتؤثر في آراء ومعتقدات وانفعالات واتجاهات وسلوك فرد أو جماعة أو شعب بأكمله.. والحرب النفسية هي إحدى أشكال الدعاية تستخدم للنيل من عزيمة الطرف الآخر وادخال روح الهزيمة واليأس مستخدمة التأثيرات العقلية والنفسية المختلفة بهدف تدمير الروح المعنوية وبث الفتنة لدى الجهة المستهدفة»[٤].

---

(١) حمزة خليل، الحرب النفسية الأمريكية على العراق في حرب ١٩٩٠م- ١٩٩١م، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م، ص١٢.

(٢) طه الزيدي، معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، ٢٠١٠م، دار الفجر، بغداد، ص ١٠٣.

(٣) رمزي المنياوي، الحرب النفسية والطابور الخامس، ٢٠١٠م، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص٩.

(٤) نضال الضلاعين وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، ٢٠١٥م، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، ص١٢٣-١٢٤.

وأيضاً: «هي الاستخدام المخطط من قبل دولة أو مجموعة دول للدعاية وغيرها من الإجراءات اللازمة (الإعلامية) التي تستهدف جماعات معادية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف تلك الدولة أو الدول المستخدمة لها»[١].

وكذلك: «الحرب النفسية جزء متمم للحرب العسكرية، والذين بالغوا في تقدير الحرب النفسية جعلوا الحرب المادية والقوة العسكرية وسيلة رادفة للحرب النفسية، والفريق الآخر على العكس جعل جهاز الحرب النفسية تابعاً للقيادة العسكرية، والحرب النفسية نفسها جزء من الحرب، وهي تخدم في النهاية الاستراتيجية العسكرية للأمة»[٢].

وحقيقة الأمر أن تحديد تعريف واحد يشمل جميع جوانب الحرب النفسية بدقة أمر ليس بالهين؛ لذلك قال بعض أهل التخصص: «يصعب حصر مصطلح الحرب النفسية في تعريف واحد، على الرغم من انتشاره وذيوعه وسعة تداوله وذلك تبعاً للجوانب والمعارف التي يتعلق بها ويعني بها.. ولهذا فقد تنوعت تعريفات الحرب النفسية بتنوع زاوية النظر إليها أو المقصد الذي يراد عكسه من خلالها، بل لتداخلها مع بعض المفاهيم والظواهر كالدعاية»[٣].

- **أشكال الحرب النفسية وتطبيقاتها**

للحرب النفسية أشكال متعددة وتطبيقات متنوعة:

من العلماء من حددها بأنها: «-الوسائل العسكرية التقليدية، وكذلك الوسائل غير العسكرية كالإجراءات الاقتصادية والدبلوماسية والتجسس والطابور الخامس، تعد جزءً لا يتجزأ من الحرب النفسية.

- تستعمل جميع الأدوات والمسالك بقصد تحقيق هدف واحد هو تحطيم الثقة بالذات.
- توجه عادة إلى شعب العدو وقواته والمناطق الموجودة تحت سيطرته لإضعاف معنوياته.
- الصدمة المفاجئة.
- حصار المدن.
- اللجوء إلى سلوك يختلف عن الأنماط السلوكية المعتادة بحيث يحدث صدمة عنيفة لدى أفراد العدو.

الحرب الاقتصادية.. الحصار الاقتصادي.. المقاطعة الاقتصادية.. وهي بذلك لا تنحصر في أهدافها ضمن الميدان الاقتصادي، وإنما تستهدف أغراضاً أخرى، «سياسية وعسكرية ونفسية واجتماعية»[٤].

---

(١) فخري الدباغ، الحرب النفسية،١٩٧٩م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ص ٧.

(٢) مصطفى الدباغ، المرجع في الحرب النفسية، ١٩٩٨م، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ص١٨.

(٣) عبد الهادي الزيدي، الحرب النفسية مفاهيم إعلامية وأحكام شرعية،٢٠١٠م، دار الفجر، بغداد، ص١٥-١٦.

(٤) حميدة سمسم، الحرب النفسية مدخل،٢٠٠٠م، بغداد، ص١،١٧،١٩،٢١،٢٢،٢٣،٣٥،٥٦،٦٥،٢٦٠

- **ومن أشكال الحرب النفسية الأخرى:**

«الشائعات، إثارة الفزع، تضخيم القوة، غسل الدماغ»[١].

ويستخدم القائم على الحرب النفسية نوعين من وسائل الاتصال: «وسائل الاتصال العامة، ويقصد بها وسائل الاتصال المتعارف عليها، ومن أهمها: الندوات، المؤتمرات، الكتب، السينما، المعارض، الصحف والمجلات، الإذاعة، التلفزيون، الإنترنت. ووسائل الاتصال الخاصة، وهي وسائل اتصال تستخدم - فقط- في أغراض الدعاية والحرب النفسية ولا تستخدم في سواها، ومن أهم وسائل الاتصال الخاصة الشائع استخدامها في الحروب والممارسات الدعوية: العروض العسكرية، المناورات الحربية، الزيارات للمواقع العسكرية، المجلات العسكرية المتخصصة»[٢].

ولتنفيذ الحرب النفسية لا بد من أن تمرر من خلال أحدى هذه الأدوات: «يقوم فيها الداعية باستخدام الرموز: (الكلمة المنطوقة، والمكتوبة، والرسم، والصورة، والاشارة، والأساليب الفنية والنفسية والعلمية الحديثة؛ للتأثير في آراء، وعواطف، واتجاهات، وسلوك المدنيين والعسكريين، في الحروب.. من أجل تحقيق الأهداف العسكرية والسياسية للبلد المعني»[٣].

ومن أدوات تنفيذها: «الكلمة المنطوقة والمكتوبة والإشارات والرموز للتأثير على عقول وعواطف وسلوك المدنيين والعسكريين في السلم والحرب»[٤].

- **المطلب الثاني: تأثير الحرب النفسية في النبي محمد ﷺ**

من طبيعة النبي محمد ﷺ البشرية، أنه يتأثر كبقية البشر بكلام الناس من حوله، سواء كانوا خصوماً أو مناصرين له، وعليه فإنه قد تأثر بالحرب النفسية التي استهدفته، لذلك قال الله سبحانه تعالى له: (**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ**)[٥].

(١) فلاح المحنة، الإعلام والرأي العام والدعاية، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ص ١١٦- ١١٧.

(٢) محمد القاضي، ٢٠٠٢م، الدعاية السياسية والحرب النفسية، بلا، القاهرة، ص٣٨.

(٣) حمزة خليل، ٢٠٠٨م، الحرب النفسية الأمريكية على العراق في حرب ١٩٩٠م- ١٩٩١م، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ص١٢.

(٤) إبراهيم أبو عرقوب، ١٩٩٧م، استراتيجية الحرب النفسية الأمريكية في أزمة الخليج، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، مجلد٥، عدد٢، ص٤.

(٥) سورة الحجر، من الآية: ٩٧.

١- وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: «أَيْ بِمَا تَسْمَعُهُ مِنْ تَكْذِيبِكَ وَرَدِّ قولك، وتناله. وينالك أصحابك من أعدائك»[١].

٢- وفسرت كذلك: «وَبالجملة لَقَدْ نَعْلَمُ منك يا أكمل الرسل أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ من كظم غيظك ويقل صبرك على تحمل إذاهم سيما بِما يَقُولُونَ مما لا يليق بجنابنا من القدح والطعن في كلامنا ومن إثبات الشركاء لنا مع وحدة ذاتنا وبجنابك من استهزائهم بك وبمن تبعك من المؤمنين فعليك أن لا تلتفت إليهم ولا تسمع هذياناتهم هذه مطلقا وإنما عليك الصبر والعظة منهم وتنزيهنا وتقديسنا عن مقالاتهم وهذياناتهم المفرطة»[٢].

٣- وقال المفسرون فيها: «أي يمتلئ صدرك من الغيظ ولا تستطيع إنفاذه بِما يَقُولُونَ من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء»[٣].

٤- وقالوا: «وإنا لنعلم ما يصيبك من ضيق وألم نفسي بما يقولونه من ألفاظ الشرك والاستهزاء والاستهانة»[٤].

٥- وغيرهم قالوا: «ولقد نعلم يا محمد إنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به»[٥].

٦- وليس ببعيد عما سبق من تفسيرات: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك»[٦].

٧- وليس آخر هذه التفسيرات قولهم: «من التَّكْذِيب وبأنك شَاعِر وساحر وَكَذَّاب وكاهن»[٧].

من هذه النصوص - وغيرها الكثير جداً- يتضح لنا بشكل قطعي أن النبي محمداً ﷺ قد تأثر بالحرب النفسية التي أدارها المشركون ضده؛ لذلك قال له الله عز وجل: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الإسراء:٤٧]. ومعنى الآية الكريمة:

(١) أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج١٠، ص٦٣.
(٢) نعمة الله النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، ١٩٩٩م، دار ركابي للنشر، مصر، ج١،ص٤١٩.
(٣) محمد ثناء الله المظهري، التفسير المظهري، ١٤١٢هـ، مكتبة الرشدية، باكستان، ج٥، ص٣٢٠.
(٤) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ١٩٩٥م، مؤسسة الأهرام، مصر، ص٣٨٣.
(٥) محمد بن جرجر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، ج١٧، ص١٥٩.
(٦) ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص٢١٨.
(٧) عبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص٢٢٠.

١- فسر علماء المسلمين هذه الآية الكريمة بقولهم: «ولولا تثبيتنا وعصمتنا لقاربت أن تميل إلى مكرهم ركوناً قليلاً وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت»(١).

٢- وفسروها: «لولا التثبيت وقوة النبوة ونور الهداية وأثر نظر العناية لقد كدت تركن إلى أهل الأهواء هوى النفسانية لمنافع الانسانية قدرا يسيرا لغلبة نور الروحانية وخمود نور البشرية»(٢).

٣- ونحو ذلك قالوا: «لولا تثبيتنا إياك على ما أنت عليه من الحق بعصمتنا لك لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا من الركون الذي هو أدنى ميل، وأصله الميل إلى ركن، وذكروا. أنه إذا أطلق يقع على أدنى الميل، ونصب شَيْئاً على المصدرية أي لولا ذلك لقاربت أن تميل إليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك العصمة فمنعتك من أن تقرب أدنى الأدنى من الميل إليهم فضلاً عن نفس الميل إليهم»(٣).

٤- وجاء كذلك: «فإنَ المشركين، لكثرة تفننهم في ضروب الأذى وشدة تعنتهم وقوة شكيمتهم، كادوا أن يفتنوه. ولكن عناية الله وحفظه، هو الذي ثبت قدمه في مثل مقامه في الدعوة إلى الله الذي لا يثبت فيه أحد غيره»(٤).

٥- وقالوا فيها: «أنك كنت على أهبة الرّكون إليهم، لا لضعف منك، بل لشدة مبالغتهم في التحيّل والخداع، ولكن عنايتنا بك منعتك أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن إليهم»(٥).

٦- ونحو ذلك قالوا: «وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ، عَلَى الْحَقِّ بِعِصْمَتِنَا، لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ أَيْ: تَمِيلُ، إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا أَيْ: قَرِيبًا مِنَ الْفِعْلِ»(٦).

٧- وليس آخر ما قالوا: «وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ على ما أنت عليه من الحق بعصمتنا لك، لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا من الركون، الذي هو أدنى ميل، أي: لولا أن عصمناك، لقاربت أن تميل إليهم لقوة خدعهم، وشدة احتيالهم. لكن عصمتنا منعتك من المقاربة»(٧).

---

(١) أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت، ج٢، ص٢٧١.

(٢) إسماعيل أبو الفداء، روح البيان، دار الفكر ، بيروت، ج٥، ص١٩٠.

(٣) شهاب الدين الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٨، ص١٢٣.

(٤) محمد القاسمي، محاسن التأويل، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٦، ص٤٧٩.

(٥) محمد الأمين الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٢٠٠١م، دار طوق النجاة، بيروت، ج١٦، ص١٩٦.

(٦) أبو محمد البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص١٤٧.

(٧) أبو العباس الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ١٤١٩هـ، القاهرة، ج٣، ص٢٢١.

وخلاصة هذه النصوص، أن النبي محمداً ﷺ قد تأثر بحربهم النفسية، ولكن الله عز وجل عصمه من أن يقدم لهم أي تنازل يذكر، حتى وإن كان تنازلاً بسيطاً أو شكلياً؛ لأن عصمة الأنبياء في هذه القضية مقرة عقلاً وشرعاً ومتفق عليها بين المسلمين جميعاً.

* * *

المبحث الثاني

- **المطلب الأول: مواقف الحرب النفسية في العهد المكي (التحليل الكيفي)**

المتصفح لسيرة الرسول الكريم محمد ﷺ، المدونة في كتاب الرحيق المختوم، سيقف على نصوص توثق تعرض النبي ﷺ، لحرب نفسية منظمة ومكثفة، وكما هو موضح في المواقف الآتية:

١- مرحلة الدعوة الخاصة أو ما يسمى بالدعوة السرية: «مرت ثلاثة أعوام، والدعوة لم تزل مقصورة على الأفراد.. واعتدوا على بعض المؤمنين»[١].

وفيه أن مشركي قريش قد مارسوا الحرب النفسية ضد النبي محمد ﷺ من خلال استهداف أتباعه.

٢- بعد أن أراد النبي ﷺ دعوة الأقربين، قالوا له أبو لهب: «هؤلاء عمومتك وبنو عمك فتكلم، ودع الصباة، وأعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك»[٢].

في هذا الكلام الموجز عدد من رسائل الحرب النفسية، الأولى: أنهم وصفوا النبي محمداً ﷺ بأنه صابئ أي مرتد عن دينه، والثانية: خوفوه بأن لا قبل لعشيرته وقبيلته بمحاربة العرب كافة بسبب هذه الدعوة، أي أنهم أرادوا تخويفه من خطورة ما جاء به لكسر همته وإجباره على ترك الدعوة للدين الجديد.

٣- وفي المجلس نفسه قال أبو لهب: «هذه هي السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم»[٣].

وكلام أبي لهب فيه تحريض صريح لعشيرة النبي ﷺ ضد ابنهم، وفي كلامه رسالة حرب نفسية واضحة كونه يقول لهم: إذا لم تأخذوا على يده فإن غيركم سيضطر لفعل ذلك نيابة عنكم، وهذا عيب في أعراف العرب.

٤- وفي ختام جلسة مشابهة للجلسة التي سبقتها، قال أبو لهب للنبي ﷺ: «تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا»[٤].

وهذا الاستهزاء الصريح بدعوة النبي ﷺ يعدُ أحد أشكال الحرب النفسية الموجهة.

٥- عقد المشركون مجلساً للتشاور لوضع خطة للتشويش على دعوة النبي ﷺ التي سيفاتح بها للوافدين إلى مكة لأداء الحج، فدار بين زعمائهم حواراً جاء فيه: «نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن.. قالوا فنقول: مجنون.. قالوا فنقول: شاعر.. فنقول: ساحر. جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين

(١) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار البيان العربي، ٢٠٠٥م، المنصورة، ص٨٢.
(٢) الرحيق المختوم، ص٨٣.
(٣) الرحيق المختوم، ص٨٤.
(٤) الرحيق المختوم، ص٨٥.

المرء وعشيرته، فتفرقوا على ذلك»[١].

في هذا النص دلالة صريحة على أن المشركين بذلوا جهداً للاتفاق على نوعية الحرب النفسية التي سيستعملونها ضد النبي ﷺ ودعوته، وقد تفننوا في إلصاق التهم إليه؛ لصد الناس عنه.

٦- وغير بعيد عن ما سبق ذكره: «أما رسول الله ﷺ فخرج يتبع الناس في منازلهم وفي عكاظ ومجنة وذي المجاز، يدعوهم إلى الله، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب»[٢].

وتكذيب النبي ﷺ بهذه الطريقة يعد من أبلغ رسائل الحرب النفسية التي استعملها المشركون.

٧- ومن سلوكياتهم في محاربة النبي ﷺ: «فرموا النبي ﷺ بتهم هازلة، وشتائم سفيهة، فكانوا ينادونه بالمجنون.. ويصمونه بالسحر والكذب.. وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة.. وكان إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه استهزأوا بهم»[٣].

وهنا يتضح بشكل جلي أن المشركين لم يدخروا وسيلة للتأثير في نفسية النبي ﷺ وكسر روحه المعنوية إلا واستعملوها.

٨- وقد تعددت أشكال الحرب النفسية ضد النبي ﷺ، ومنها: «فكانوا يقولون عن القرآن (أضغاث أحلام) يراها محمد بالليل ويتلوها بالنهار، ويقولون: (بل افتراه) من عند نفسه، ويقولون: (إنما يعلمه بشر) وقالوا: إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) أي اشترك هو وزملاؤه في اختلاقه، وقالوا: (أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلاً) وأحياناً قالوا: إنَ له جنياً أو شيطاناً يتنزل عليه كما ينزل الجن والشياطين على الكهان.. وأحياناً قالوا عن النبي ﷺ: إنه مصاب بنوع من الجنون، فهو يتخيل المعاني، ثم يصوغها في كلمات بديعة رائعة كما يصوغ الشعراء»[٤].

وفي هذا النص أنَ المشركين قد افترضوا كل الفرضيات المنطقية وغير المنطقية، المقبولة وغير المقبولة، ولكنهم لم يفترضوا أنَ ما ينطق به وحي من الله عز وجل!! وهذا دليل على إصرارهم على تكذيبه وأنهم غير باحثين عن الحق أصلاً، وهذا الأسلوب يحمل في طياته رسائل حرب نفسية بليغة.

٩- وهذه المرة يطعنون بصحة نبوته ﷺ بطريقة أخرى: «وقالوا: إن محمداً بشر»[٥].

وهذا الأسلوب يستعمل لإيهام الناس بأن النبوة لا تكون لبشر!!.

---

(١) الرحيق المختوم، ص٨٦.
(٢) الرحيق المختوم، ص ٨٦.
(٣) الرحيق المختوم، ص ٨٧.
(٤) الرحيق المختوم، ص٨٧.
(٥) الرحيق المختوم، ص٨٨.

١٠- ومن أساليبهم الأخرى في تكذيب النبي ص «فقالوا: ألم يجد الله لحمل رسالته إلا هذا اليتيم المسكين، ما كان الله ليترك كبار أهل مكة والطائف ويتخذ هذا المسكين رسولاً»[١].

وهنا يحاول المشركون تذكير النبي ﷺ والناس بما يتصورون أنها نقاط ضعف في حياة النبي ﷺ، وعليه فإنه غير مؤهل ليكون نبياً.

١١- واستمراراً في سعيهم لتكذيب النبي ﷺ والتأثير النفسي السلبي فيه وفي الناس الذين يسمعون بدعوته، كانوا يقولون: «إن رسل ملوك الدنيا يمشون في موكب من الخدم والحشم، ويتمتعون بالأبهة والجلال، ويوفر لهم كل أسباب الحياة، فما بال محمد يدفع في الأسواق للقمة عيش وهو يدعي أنه رسول الله»[٢].

وهذا أسلوب آخر للتأثير في نفوس الناس من أجل تغيير قناعاتهم بصدق النبي ﷺ.

١٢- ومن الأساليب الأخرى التي نفذها المشركون: «فكانوا يطردون الناس ويثيرون الشغب والضوضاء ويتغنون ويلعبون، إذا رأوا أن النبي ﷺ يتهيأ للدعوة، أو إذا رأوه يصلي ويتلو القرآن.. حتى إنَ النبي ﷺ لم يتمكن من تلاوة القرآن عليهم في مجاميعهم ونواديهم»[٣].

هذه الأفعال ذات تأثير كبير في نفس النبي ﷺ والناس.

١٣-من التطبيقات العملية لما مرَ ذكرها في النقطة السابقة: «كان النضر بن الحارث، أحد شياطين قريش.. إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً للتذكير بالله والتحذير من نقمته خلفه النضر ويقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني»[٤].

ورسالة الحرب النفسية في هذا التصرف واضحة المعالم وتهدف إلى الضغط النفسي على النبي ﷺ وصد الناس عن سماعه.

١٤- وتكررت تصرفات النضر بن الحارث النفسية النظر ضد النبي ﷺ: «أن النضر كان قد اشترى قينة، فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، فيقول: اطعميه واسقيه وغنيه، هذا خير مما يدعوك إليه محمد»[٥].

وهنا نكتشف أن أساليب قادة قريش لم تقتصر على رسائل الحرب النفسية اللفظية وإنما استعملوا الوسائل المادية والأفعال، ويعدُ هذا الأسلوب تطوراً في حربهم النفسية ضد النبي ﷺ ودعوته.

---

(١) الرحيق المختوم، ص٨٨.
(٢) الرحيق المختوم، ص٨٨.
(٣) الرحيق المختوم، ص٨٩.
(٤) الرحيق المختوم، ص٩٠.
(٥) الرحيق المختوم، ص٩٠.

١٥- ومن وسائل المشركين الجديدة في تدمير الروح المعنوية للنبي محمد ﷺ:»فقرروا القيام بتعذيب المسلمين وفتنتهم عن دينهم، فأخذ كل رئيس بعذب من دان من قبيلته بالإسلام، وانقض كل سيد على من اختار من عبيده طريق الإيمان»[١].

ومع أن تعذيب المسلمين الجدد يهدف في ظاهره لصدهم عن الدين، ولكن الهدف الأكبر والأهم هو الضغط النفسي على صاحب الدعوة؛ كونه سيشعر بأنه هو السبب في أذية هؤلاء المسلمين ومن واجبه حمايتهم بطريقة أو بأخرى، وان تعذيب هذه الفئة سيكون سبباً في ردع بقية الناس عن اتباع النبي محمد ﷺ.

١٦- وتماشياً مع الأسلوب النفسي الجديد في مواجهة الإسلام: «كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال، والجاه، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به»[٢].

وفي هذا النص دلالة صريحة على الترهيب النفسي والتعذيب البدني للمسلمين، وهما من أشكال الحرب النفسية الفتاكة.

١٧- ومن أساليب ترهيب المسلمين: «كان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من ورق النخيل ثم يدخنه من تحته»[٣].

١٨- ومثل الذي سبق من نصوص: «لما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه منعته الطعام والشراب، وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشاً، فتخشف جلده تخشف الحية»[٤].

١٩- وكذلك وقع التعذيب على غير واحد من المسلمين: «وكان صهيب بن سنان الرومي يعذب حتى يفقد وعيه ولا يدري ما يقول»[٥].

٢٠- ولغيره من الصحابة كان الحال: «وكان بلال مولى أُمية بن خلف الجمحي، فكان أُمية يضع في عنقه حبلاً، ثم يسلمه إلى الصبيان، ويطوفون به في جبال مكة، ويجرونه حتى كان الحبل يؤثر في عنقه، وهو يقول: أحد أحد، وكان أُمية يشده شداً ثم يضربه بعصا، ويلجئه إلى الجلوس في حرَّ الشمس، كما كان يُكره على الجوع. وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء..»[٦].

(١) الرحيق المختوم، ص٩٠.
(٢) الرحيق المختوم، ص٩٠.
(٣) الرحيق المختوم، ص٩٠.
(٤) الرحيق المختوم، ص٩٠.
(٥) الرحيق المختوم، ص٩٠.
(٦) الرحيق المختوم، ص٩٠.

٢١- والعذاب الذي أنزل في آل ياسر: «وكان المشركون وعلى رأسهم أبو جهل يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها.. فمات ياسر في العذاب، وطعن أبو جهل سمية في قبلها بحربة فماتت.. وشددوا العذاب على عمار بالحرة تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى، وبغطه في الماء حتى كان يفقد وعيه»[١].

٢٢- والعذاب شمل كذلك: «أبو فكيهة - واسمه أفلح- مولى لبني عبد الدار، وكان من الأزر. فكانوا يخرجونه في نصف النهار في حرٍّ شديد، وفي رجليه قيد من حديد، فيجردونه من الثياب، ويبطحونه في الرمضاء، ثم يضعون على ظهرة صخرة حتى لا يتحرك»[٢].

٢٣- وكذلك وقع التعذيب على: «خباب بن الأرت مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية، وكان حداداً، فلما أسلم عذبته مولاته بالنار.. وكان المشركون أيضاً يعذبونه فيلوون عنقه ويجذبون شعره، وقد ألقوه على النار، ثم سحبوه عليها»[٣].

٢٤- وهذا التعذيب البدني شمل النساء ومنهن: «كانت زنيرة أمة رومية قد أسلمت فعذبت في الله، وأصيبت في بصرها حتى عميت»[٤].

وبما أن هذه الأمة نصرانية وليست على دين قريش، فهذا دليل قطعي على أن المشركين لم يكونوا يعذبون ضعفائهم حمية لدين الوثنية، وإنما ردعاً وتخويفاً لمن يرغب باعتناق الإسلام، الأمر الذي يشكل ضغطاً نفسياً على النبي محمد ﷺ.

٢٥- ومن النساء المعذبات: «أم عبس، جارية لبني زهرة، فكان يعذبها المشركون، وبخاصة مولاها الأسود بن عبد يغوث»[٥].

٢٦- ومن النساء المستضعفات أيضاً: «وأسلمت جارية عمر بن مؤمل من بني عدي، فكان عمر بن الخطاب يعذبها -وهو يومئذ على الشرك- فكان يضربها حتى يفتر»[٦].

٢٧- الإرهاب النفسي والبدني شمل: «ممن أسلمن وعذبن من الجواري: النهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار»[٧].

---

(١) الرحيق المختوم، ص٩١.
(٢) الرحيق المختوم، ص٩١.
(٣) الرحيق المختوم، ص٩١.
(٤) الرحيق المختوم، ص٩١.
(٥) الرحيق المختوم، ص٩٢.
(٦) الرحيق المختوم، ص٩٢.
(٧) الرحيق المختوم، ص٩٢.

٢٨- وشمل هذا الاضطهاد كبار الصحابة: «وأوذي أبو بكر الصديق أيضا. فقد أخذه نوفل بن خويلد العدوي، وأخذ معه طلحة بن عبيد الله فشدهما في حبل واحد»[١].

جميع هذه المواقف التي وثقت اجرام المشركين بحق المسلمين إنما كان له ثلاثة أهداف أساس: الأول: هو صد المسلمين عن دينهم، والثاني وهو الأهم: كسر الروح المعنوية للنبي محمد ﷺ والمؤيدين له في وقتها، والثالث: تخويف الناس بأنهم سيصيبهم ما يصيب هؤلاء الأشخاص من التعذيب والتنكيل في حال اتبعوا الدين الجديد، وبكل الأحوال فإن رسائل الحرب النفسية من هذه التصرفات لا تخفى على المختص.

٢٩- ومن أشكال الحرب النفسية التي أقدم عليها سادة قريس: «مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وأما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلاف، فنكفيكه.. حتى قررت - قريش- مراجعة أبي طالب بأسلوب أغلظ وأقسى من السابق»[٢].

طبيعة الحرب النفسية في هذا النص بليغة جداً، إذ هدفوا إلى تجريد النبي محمد ﷺ من الحصانة التي منحها أبو طالب له؛ وذلك من تذكير أبي طالب بالمشتركات العقدية التي تجمعهم وأنه على غير دين محمد ﷺ، فلماذا ينصره.

٣٠- وفي موقف آخر مع أبي طاب: «وجاءت سادة قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وأنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين»[٣].

ورسائل الحرب النفسية تبدو في هذا النص أكثر وضوحاً وأعلى سقفاً، إذ أظهر المشركين استعدادهم لقتال أبي طالب وعشيرته جميعاً، حتى وإن كلفهم ذلك فناء أحد الطرفين.

٣١- وفي محاولة جديدة لرفع الحصانة عن النبي محمد ﷺ: «فذهبوا إليه بعمارة ابن الوليد ابن المغيرة وقالوا له: يا أبا طالب، إن هذا الفتى أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل.. فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك»[٤].

(١) الرحيق المختوم، ص٩٢.
(٢) الرحيق المختوم، ص٩٣.
(٣) الرحيق المختوم، ص٩٣.
(٤) الرحيق المختوم، ص٩٤.

وهنا قد استعمل المشركون أساليب جديدة للتأثير النفسي في عم النبي ﷺ ليرفع حصانته عنه؛ وذلك في إغرائه بالمنح المتمثلة بالشاب الجميل، كما لم ينسى المشركون تذكير أبي طالب بأنه وإياهم على دين واحد.

٣٢- ومن مواقف أبي لهب العدائية: «قد زوج ولديه عتبة وعتيبة ببنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة حتى طلقاها»[١].

هذا الفعل الذي أقدم عليه أبو لهب هدفه التأثير النفسي في النبي محمد ﷺ لتغيير قناعته وترك دعوته، كما أنه يهدف للتأثير في قناعة بنات النبي ﷺ ومحاولة إبعادهن عن أبيهن.

٣٣- وفي موقف عدائي آخر: «لما مات عبد الله - الابن الثاني لرسول الله ﷺ - استبشر أبو لهب وذهب إلى المشركين يبشرهم بأن محمداً صار أبتر»[٢].

ومع أن الشماتة ليست من شيم العرب ولكن أبو لهب لم يكن ليفوت فرصة التأثير النفسي وكسر معنويات النبي محمد ﷺ إلا واستغلها.

٣٤- ومن أفعال أبي لهب: «كان يجول خلف النبي ﷺ في موسم الحج والأسواق لتكذيبه.. أنه كان لا يقتصر على التكذيب بل كان يضربه بالحجر حتى يدمي عقباه»[٣].

وهنا نرى أن أبا لهب استعمل كل الوسائل بما فيها الإيذاء الجسدي المباشر من أجل تدمير الروح المعنوية للنبي محمد ﷺ وإجباره على ترك دعوته.

٣٥- ولم تقتصر عداوة النبي ﷺ على أبي لهب فحسب، بل إنَ امرأته شاركت بذات الأفعال: «فقد كانت تحمل الشوك، وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حراً شعواء على النبي ﷺ»[٤].

وجميع هذه الأفعال تهدف لإضعاف الروح المعنوية للنبي محمد ﷺ وجعله يفكر في ترك دينه الجديد مقابل التخلص من هذه المضايقات.

٣٦- بعض المشركين تأثر بتصرفات أبي لهب وزوجته: «كما كان غيره من جيران رسول الله ﷺ يؤذونه وهو في بيته»[٥].

---

(١) الرحيق المختوم، ص٩٤.
(٢) الرحيق المختوم، ص٩٤.
(٣) الرحيق المختوم، ص٩٤.
(٤) الرحيق المختوم، ص٩٥.
(٥) الرحيق المختوم، ص٩٥.

لم يقدم المشركون على هذه الأفعال إلا لعلمهم بأن تراكم المضايقات النفسية يؤدي إلى تنازل الطرف المستهدف.

٣٧- ومن أشكال المضايقات النفسية التي يرتكبها جيران النبي ﷺ: «فكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً ليستتر به منهم إذا صلى فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق»[١]

٣٨- ومن الأشكال الأخرى لتأثير النفسي في النبي ﷺ: «النبي كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس؛ إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيئ بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم (عقبة بن أبي معيط) فجاء به فنظر، حتى إذا سجد النبي وضع على ظهره بين كتفيه.. فجعلوا يضحكون»[٢].

ولا شك بأن هذه الأفعال يراد منها تحطيم الروح المعنوية للنبي محمد ﷺ وإظهاره بصورة الضعيف الذي لا يمكن أن يكون نبياً.

٣٩- وللمشركين أساليب كثر في محاولة التأثير النفسي في النبي ﷺ: «وكان أُمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه. وفيه نزل: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال ابن هشام: الهمز: الذي يشتم الرجل علانية، ويكسر عينه، ويغمز به. واللمز: الذي يعيب الناس سراً، ويؤذيهم»[٣].

وكلام ابن هشام في تعريف الهمز صريح جداً بأنه يهدف لتوجيه حرب نفسية مباشرة للطرف المستهدف.

٤٠- وقد شارك عدد من المشركين في هذه الحرب النفسية، منهم: «أخو أُمية بن خلف فكان هو وعقبة بن أبي معيط متصافيين. وجلس عقبة مرة إلى النبي ﷺ وسمع منه، فلما بلغ ذلك أبياً أنبه وعاتب، وطلب منه أن يتفل في وجه رسول الله ﷺ ففعل، وأبي بن خلف نفسه فت عظماً رميماً ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ»[٤].

جميع هذه التصرفات لا يمكن فهمها إلا من باب الحرب النفسية الموجهة لتمير الروح المعنوية للنبي الكريم ﷺ.

٤١- ولأبي جهل نصيب من هذه الأفعال: «وكان أبو جهل يجيء أحياناً إلى رسول الله ﷺ.. ويؤذي رسول الله ﷺ بالقول»[٥].

ولا فائدة من الايذاء بالقول غير الحرب النفسية.

---

(١) الرحيق المختوم، ص٩٥.
(٢) الرحيق المختوم، ص٩٦.
(٣) الرحيق المختوم، ص٩٦.
(٤) الرحيق المختوم، ص٩٦.
(٥) الرحيق المختوم، ص٩٦.

٤٢- ومن أفعال أبي جهل الأخرى: «وكان يمنع النبي ﷺ عن الصلاة منذ أول يوم رآه يصلي في الحرم، ومر به وهو يصلي عند المقام فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا، وتوعده»[١].

والهدف من هذه التصرفات اشعار النبي ﷺ بالضعف وقلة الحيلة، ولتمير روحه المعنوية.

٤٣- ولأبي جهل مواقف أخرى، كقوله: «واللات والعزى، لئن رأيته لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه»[٢].

لا شك بأن الهدف من هذا التهديد هو تخويف النبي محمد ﷺ.

٤٤- ومن أفعال المشركين ضد أتباع النبي: «أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجتمعون في الشعاب، فيصلون فيها سراً، فرآهم نفر من كفار قريش، فسبوهم وقاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً فسال دمه، وكان أول دم هريق في الإسلام»[٣].

ومع أن العنف استهدف أتباع النبي ﷺ، ولكن تأثيرها النفسي سيطال النبي ذاته؛ كونهم سيشعرونه بأنه لا يستطيع أن يحمي أتباعه، وأنه مغلوب على أمره.

٤٥- وعن المشركين أنهم: «كذبوا على رسول الله ﷺ وافتروا عليه أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنها ما يريدونه هم دائما من قولهم: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهم لترتجى»[٤].

هذا الموقف فيه رسالة حرب نفسية قوية، وذلك من محاولة تشكيك النبي ﷺ بما يقوله وبما يفعله، أي أن المشركين أرادوا إيهام النبي ﷺ بأنه غير مدرك لما يقول ويفعل، فهو غير صاحب أهلية.

٤٦- المشركون يكررون نفس أسلوبهم الذي استخدموه مع أبي طالب مع النجاشي هذه المرة بقولهم: «أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا تعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردهم إليهم»[٥].

وفي هذا النص عدد من رسائل الحرب النفسية؛ أولها: الانتقاص من المسلمين، والثاني: أنهم ليسوا على دين النجاشي؛ ليستدرجوه لرفع التعاطف معهم، والثالث: أن أشراف العرب وأقاربهم غير راضين عن هذه الفئة.

(١) الرحيق المختوم، ص٩٦.
(٢) الرحيق المختوم، ص٩٧.
(٣) الرحيق المختوم، ص٩٧.
(٤) الرحيق المختوم، ص٩٩.
(٥) الرحيق المختوم، ص٩٩.

٤٧- ومن أفعال أحد أفراد عائلة أبي لهب: «أن عتيبة بن أبي لهب أتى يوماً رسول الله ﷺ فقال: أنا أكفر بـ (النجم إذا هوى) وبالذي (دنى فتدلى) ثم تسلط عليه بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه ﷺ، إلا أن البزاق لم يقع عليه»[١].

وقد بينا سابقاً أن هدف الإيذاء البدني هو كسر الروح المعنوية للنبي محمد ﷺ.

٤٨- وغير بعيد عما سبق من تعدي: «أن عقبة بن أبي معيط وطئ على رقبته الشريفة وهو ساجد حتى كادت عينان تبرزان»[٢].

٤٩- ومن المضايقات النفسية أن: «رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، وقام أبو بكر دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه»[٣].

٥٠- وتتكر هذه التصرفات بعدة أشكال، منها: «أن أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ يوماً عند الصفا فآذاه ونال منه، ورسول الله ﷺ ساكت لا يكلمه، ثم ضربه أبو جهل بحجر في رأسه فشجه حتى نزف منه الدم»[٤].

٥١- وقد مارس عمر بن الخطاب -قبل اسلامه- هذه الحرب النفسية: «خرج يوماً متوشحاً سيفه يريد القضاء على النبي ﷺ، لقيه نعيم بن عبد الله النحام العدوي.. فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً»[٥].

وقناعتنا أن فعل عمر كان من باب التخويف والحرب النفسية ضد النبي ﷺ، وأنه لم يكن جاداً في قتله ﷺ، إذ لو كان عازماً على القتل لفعل.

٥٢- ومن أفعال عمر أيضاً بحق أُخته وزوجها: «قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما.. فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديداً. فجاءت أخته فرفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها»[٦].

ومع أن الأذى لم يوجه في هذه الواقعة إلى النبي ﷺ بشكل مباشر، ولكن تأثيره في معنويات النبي ﷺ لا تخفى على أحد، كونه سيشعر بأنه سبب في تعذيب أتباعه، وأن عليه واجب نصرتهم بطريقة أو أخرى.

---

(١) الرحيق المختوم، ص١٠١.
(٢) الرحيق المختوم، ص١٠٢.
(٣) الرحيق المختوم، ص١٠٢.
(٤) الرحيق المختوم، ص١٠٣.
(٥) الرحيق المختوم، ص١٠٤.
(٦) الرحيق المختوم، ص١٠٤.

٥٣- وهنا نجد أن قريشاً قد أرسلت مندوباً عنها للتأثير في موقف النبي ﷺ فقال له: «يا ابن أخي، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد الشرف سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا»[١].

وهذه الإغراءات تعدُّ من رسائل الحرب النفسية العظيمة التي لا ينجوا من تأثيرها إلا أصحاب المبادئ الثابتة.

٥٤- وفي الجلسة الحوارية نفسها التي مرَّ ذكرها: «وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا أموالنا حتى نبرئك منه»[٢].

وقد تمثلت الحرب النفسية في كلامهم هذا في سعيهم لتشكيكه بأصل الوحي، وتصوير الأمر على أنه مرض نفسي أو عقلي، مع علمهم القطعي بأن ما يدعوهم إليه لا يمكن أن يكون جنوناً.

٥٥- محاولات إغراء النبي ﷺ بالمكاسب المادية لم تنفع فأرسلوا: «إلى النبي ﷺ يدعونه، فجاء مسرعاً يرجو خيراً، فلما جلس إليهم قالوا له مثل الذي قال عتبة، وعرضوا عليه نفس المطالب التي عرضها عتبة»[٣].

لم يكلوا ولم يملوا من محاولة التأثير النفسي في النبي ﷺ.

٥٦- وهنا نرى المشركين قد اختاروا أسلوبا جديداً: «وطلبوا منه أن يسأل ربه أن يسير عنهم الجبال، ويبسط لهم البلاد، ويفجر فيها الأنهار، ويحي لهم الموتى»[٤].

وهدف المشركين هو إظهار النبي ﷺ بموقف العاجز الكذاب، الذي ليس له ارتباط مع الخالق؛ لأنهم لا يبحثون عن المعجزة الحقيقية التي تثبت صحة نبوته، بدليل أنهم أنكروا عدد من المعجزات السابقة، كحاثة الإسراء والمعراج، ومعجزة شق القمر، بل إنهم أنكروا أعظم المعجزات المتمثلة بنزول القرآن الكريم الذي أعجزهم على أن يأتوا بمثله برغم براعتهم في فنون اللغة العربية، وفي هذا التحدي تشكيك للنبي ﷺ بصحة ارتباطه مع الخالق العظيم في حال لم يظهر الله على يديه المعجزات المادية.

٥٧- وبالعودة إلى أفعال أبي جهل: «وإني أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه»[٥].

---

(١) الرحيق المختوم، ص١٠٧.
(٢) الرحيق المختوم، ص١٠٧.
(٣) الرحيق المختوم، ص١٠٨.
(٤) الرحيق المختوم، ص١٠٨.
(٥) الرحيق المختوم، ص١٠٨.

وبغض النظر عما إذا كان عازماً على قتل النبي ﷺ أو أنه يريد التهديد والتخويف، فإن هذا التهديد يعدُّ رسالة حرب نفسية قوية ضد النبي ﷺ.

٥٨- قدم بعض المشركين مبادرة إلى النبي ﷺ: «فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما تعبد خيراً مما تعبد قد أخذت بحظك منه»[(١)].

والهدف من هذه المبادرة هو تشكيك النبي ﷺ بدعوته واقناعه باحتمالية بطلانها.

٥٩- ومن أساليبهم في تشكيل النبي ﷺ في الوحي: «لم تيأس قريش كل اليأس، بل أبدوا مزيداً من التنازل بشرط أن يجري النبي ﷺ بعض التعديلات فيما جاء به من التعليمات، فقالوا: (ائت بقرآن غير هذا أو بدله)»[(٢)].

وهذه المبادرة لا تختلف كثيراً عمَّا سبق من مبادرات، وكلها تهدف لتشكيك النبي ﷺ بأصل الوحي، واقناعه بإمكانية التعديل والتغيير كونه ليس من الله سبحانه وتعالى، وإنما هو من اجتهاده الشخصي.

٦٠- لم يكتف المشركون بما فعلوه، بل لجأوا إلى اليهود للاستزادة، فاقترحوا عليهم تعجيز النبي ﷺ ببعض الأسئلة: «سلوه عن ثلاث، فإن أخبر فهو نبي مرسل، وإلا فهو متقول؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإن لهم حديثاً عجباً، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هي؟»[(٣)].

ولا يخفى أن سؤال الإنسان عما لا يعرف بصيغة التحدي، يسبب له ضغطاً نفسياً، يرجع إلى عدم معرفة حقيقة الأمر ومدى استجابة الوحي لطلباتهم.

٦١- بعد أن فشلت كل محاولات التأثير النفسي السابقة، أقدمت قريش على استعمال أسلوب أشد عداوة بل وأوسع تأثيرا: «فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل.. واشتد الحصار، وقطعت عنهم الميرة والمادة.. حتى بلغهم الجهد، والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع»[(٤)].

الضرر الكبير الذي لحق بالنبي ﷺ وبعشيرته، كان يشكل ضغطاً نفسياً هائلاً على النبي، كون كل ما جرى هو بسبب دعوته لدينه الجديد، ويتضح هذا الشي كثيراً حين نعلم أن المقاطعة شملت عشيرة النبي ﷺ وفيهم من

(١) الرحيق المختوم، ص١٠٩.
(٢) الرحيق المختوم، ص١٠٩.
(٣) الرحيق المختوم، ص١١٠.
(٤) الرحيق المختوم، ص١١٢.

ما زال على شركه، وهؤلاء بكل تأكيد لا يتحملون هذه العقوبة من أجل دعوة لا يؤمنون بها أصلاً.

٦٢- وهنا تتكر محاولات سادة قريش لدفع أبي طالب إلى رفع الحصانة والدعم عن النبي ﷺ ويكون إلى جانبهم في الضغط النفسي على النبي ﷺ لا يقاف دعوته بقوله: «يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فدعه فخذ له منا، وخذ لنا منه؛ ليكف عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا وندعه ودينه، فبعث أبو طالب، فجاءه فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك ليعطوك، وليأخذوا منك»[١].

المتأمل في موقف أبي طالب، يلمس فيه رغبة الرجل في الوصول إلى حل وسط ينهي الخلاف بين الطرفين، الأمر الذي يشكل ضغطاً نفسياً كبيراً على النبي ﷺ؛ كونه سيشعر بأن أقوى مناصريه بدأ يرغب في تقديم التنازلات.

٦٣- وبعد وفاة أبي طالب زاد المشركون من أذاهم للنبي ﷺ: «اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، ودخل بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي»[٢].

والحرب النفسية في هذا النص بشقين؛ الأول: التجاوز الجسدي على النبي ﷺ، والآخر: بكاء ابنة النبي ﷺ وشعورها بضعف أبيها، وهذان الموقفان يسببان ضغطاً نفسياً هائلاً لا يخفى على أحد.

٦٤- ونقف مرة أخرى مع تصرفات أبي جهل فقال: «يا محمد، إننا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به»[٣].

والغاية من هذا الكلام هو تشكيك النبي ﷺ بالوحي، وإيهامه بأن ما يأتيه هو من الشيطان أو التخيلات، فأبو لهب شهد بصدق النبي ﷺ، وهذا جانب إيجابي أراد منه استدراج النبي، وإفهامه بأن قريشاً ليست ضده شخصياً وإنما ضد ما يدعو له؛ لأنهم غير مقتنعين بأن مصدره الله عز وجل.

٦٥- ومن مضايقاتهم النفسية: «وغمزه ﷺ الكفار يوماً ثلاث مرات»[٤].

٦٦- وضايقوه بأسلوب آخر: «وكان أبي بن خلف يتوعده بالقتل»[٥].

والتهديد بالقتل يشكل ضغطاً نفسياً يجبر صاحبه على التفكير ملياً في ترك ما هو عليه؛ ليسلم من شرهم.

٦٧- ومن الأذى الذي أنزل بصاحبة النبي ﷺ: «وطئ أبو بكر بن أبي قحافة يوماً بمكة، وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر، حتى ما يعرف

(١) الرحيق المختوم، ص١١٥.
(٢) الرحيق المختوم، ص١١٨.
(٣) الرحيق المختوم، ص١١٩.
(٤) الرحيق المختوم، ص١١٩.
(٥) الرحيق المختوم، ص١٢٠.

وجهه من أنفه، وحملت تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته»[١].

ومع أن هذا الضرب لم يكن موجها للنبي ﷺ، ولكن تأثيره النفسي سيطاله بلا أدنى شك؛ كونه يشعر بأن أي ضرر يصيب أصاحبه إنما حصل بسببه وتنكيلاً به.

٦٨- وعندما ذهب النبي ﷺ إلى الطائف ليدعو أهلها: «فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة (أي يمزقها) إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً»[٢].

اتفاق هؤلاء الثلاثة على الاستهزاء بالنبي ﷺ، وعدم الدخول معه بحوار منطقي عقلي، يعدُّ حرباً نفسية شديدة الوقع.

٦٩- وبعد أن أقام النبي ﷺ عشرة أيام في الطائف يدعوهم إلى الإسلام: «فقالوا: اخرج من بلادنا. وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس.. وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضبت نعلاه بالدماء»[٣].

ضياع عشرة أيام من غير أن يكسب النبي ﷺ أحداً إلى دعوته، ثم طرده بهذه الطريقة البشعة، سببَ ضغطاً نفسياً هائلاً على النبي ﷺ.

٧٠- وأثناء خروجه من الطائف، شاهد المشركون أحد النصارى يتعاطف مع النبي ﷺ فقالوا له: «ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه»[٤].

في كلامهم هذا دليل قطعي على أن معارضتهم للإسلام لم تكن عن قناعة وبصيرة، وإنما بدافع الحقد والأنانية وعدم التفريط بالمصالح الدنيوية التي هم فيها، وإلا ما الذي يضرهم إن أسلم هذا النصراني!!.

٧١- ومن التعذيب الذي طال أبو ذر، مع كونه ليس من قريش وليس لهم عليه ولاية: «فجئت إلى المسجد، وقريش فيه، فقلت: يا قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ. فقاموا، فضربت لأموت»[٥].

وقد بينا سابقاً أن انزال الأذى بأتباع النبي ﷺ يعدُّ حرباً نفسية غير مباشرة، الهدف منها هو النبي ﷺ أكثر من كونهم يستهدفون الشخص الذي يضربونه.

---

(١) الرحيق المختوم، ص١٢٠.
(٢) الرحيق المختوم، ص١٢٥.
(٣) الرحيق المختوم، ص١٢٥.
(٤) الرحيق المختوم، ص١٢٦.
(٥) الرحيق المختوم، ص١٣١.

٧٢- ومن أساليب المشركين في تنفير الناس عن النبي ﷺ، أنهم يستقبلون الوافدين إلى مكة قبل دخولها: «وقالوا: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه شيئاً»[١].

ومبادرة المشركين في تخويف الناس الذين لا يعرفون النبي ﷺ من قرب، وتحذيرهم منه وبث الاشاعات والافتراءات ضده يعد من أقوى وسائل الحرب النفسية.

٧٣- وغير بعيد عن النص الذي سبق ما حدث مع ضمادة الأزدي: «قدم مكة فسمع سفهاءها يقولون: إن محمداً مجنون»[٢].

٧٤- عندما علم أحد المشركين بقدوم بعض أهل المدينة لمبايعة النبي ﷺ سراً: «صاح بأنفذ صوت سمع قط: يا أهل الجباجب - المنازل- هل لكم من مذمم والصباة معه؟ قد اجتمعوا على حربكم.. لما قرع هذا الخبر آذان قريش.. توجه وفد كبير من زعماء مكة وأكابر مجرميها إلى أهل يثرب؛ ليقدم احتجاجه الشديد على هذه المعاهدة»[٣].

المتدبر لهذا النص يجد تأثير كلام الرجل الذي كشف الاجتماع وكيف أنه حرف الحقائق وخوف قريشاً وصور هذا الاجتماع على أنه مخطط للحرب، في حين أن الهدف من الاجتماع بعيد عن ذلك تماماً، وبناءً على كلامه تطور الأمر وشكلت قريش وفداً لمخاطبة كبار أهل المدينة وتحذيرهم من مناصرة النبي محمد ﷺ، وهذا كله شكل حرباً نفسية كبيرة على النبي ﷺ وأتباعه.

٧٥- وبعد تأكد المشركين من حقيقة اجتماع بعض أهل المدينة إلى النبي ﷺ، قرروا مطاردتهم والتنكيل بهم: «تمكنوا من رؤية سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فطاردوهما، فأما المنذر فقد أعجز القوم، وأما سعد فقد ألقوا القبض عليه، فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، وجعلوا يضربونه ويجرون شعره»[٤].

ويعدُّ هذا الضرر البليغ بالمسلمين الجدد، نوعاً من أنواع الحرب النفسية ضد النبي محمد ﷺ.

٧٦- حتى بعد أن قرر المسلمون ترك مكة، لم يكفوا عن التنكيل بهم، وهذه المرة مع أبي سلمة: «فلما أجمع على الخروج قال له أصهاره: هذه نفسك غالبتنا عليها، أرءيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها

(١) الرحيق المختوم، ص١٣٢.
(٢) الرحيق المختوم، ص١٣٢.
(٣) الرحيق المختوم، ص١٤٦.
(٤) الرحيق المختوم، ص١٤٧.

في البلاد؟ فأخذوا منه زوجته»[١].

لا يخفى على عاقل أن حرمان الرجل من زوجته يعدُّ ضرراً كبيراً يولد ضغطاً نفسياً مباشراً على الرجل، ويولد حرباً نفسية غير مباشرة على النبي ﷺ.

٧٧- وليس بعيداً عمَّا ذُكر سابقاً، فقد حصل لصهيب بن سنان شيئاً مقارباً: «فلما أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني جعلت لكم مالي»[٢].

والتنازل عن المال فيه ضرر نفسي مباشر لصاحب المال، وغير مباشر للنبي ﷺ بوصف سبب كل ما يحث لأتباعه.

٧٨- وفيما يتعلق بأحداث الهجرة: «ولما قدما المدينة ونزلا بقباء قدم أبو جهل وأخوه الحارث إلى عياش.. فقالا له: إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط، ولا تستظل بشمس حتى تراك، فرق لها. فقال له عمر: يا عياش إنه والله لا يريد القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم.. فأبى عياش إلا الخروج معهما ليبر قسم أمه.. ثم دخلا به مكة نهاراً موثقاً، وقالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا»[٣].

وهنا فإن الحرب النفسية قد وقعت على الضحية والمسلمين الذي يرغبون بالهجرة وعلى النبي محمد ﷺ؛ كونه المسؤول عن كل المسلمين.

٧٩- قبيل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة: «عقد برلمان مكة (دار الندوة) أوائل النهار أخطر اجتماع له في تأريخه.. ليتدارسوا خطة حاسمة تكفل القضاء سريعاً على حامل لواء الدعوة الإسلامية؛ وتقطع تيار نورها عن الوجود نهائياً»[٤].

قرار المشركين الصارم بقتل النبي ﷺ يشكل حرباً نفسية عنيفة ضده ﷺ، في حال معرفته بالخير.

٨٠- وبعد أن قرر النبي ﷺ الهجرة مع أبي بكر: «فوضعت جميع الطرق النافذة من مكة تحت المراقبة المسلحة الشديدة، كما قررت إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين»[٥].

---

(١) الرحيق المختوم، ص١٤٨.
(٢) الرحيق المختوم، ص١٤٨.
(٣) الرحيق المختوم، ص١٤٩.
(٤) الرحيق المختوم، ص١٥٠.
(٥) الرحيق المختوم، ص١٥٦.

والحرب النفسية ضد النبي ﷺ في هذا النص على شقين؛ الأول: الترهيب العسكري، والآخر: الإغراء بالأموال؛ لتجنيد كل الناس وإن لم يكن لهم عداء شخصي مع النبي ﷺ ورفيقه.

- **المطلب الثاني: نتائج الحرب النفسية ضد النبي ﷺ في العهد المكي (التحليل الكمي)**

من النتائج التي ظهرت في المبحث السابق، والمتمثلة بنتائج التحليل الكيفي لمواقف الحرب النفسية من المشركين ضد النبي محمد ﷺ، كشفت الدراسة عن وجود (٨٠) ثمانين موقفاً للحرب النفسية، جاءت بعدة أشكال وأساليب متعددة، وعلى النحو الآتي:

الحرب النفسية ضد النبي محمد ﷺ جاءت بشكلين أساسيين؛ الأول: أنها وجهت له بشكل مباشر، والآخر: أنها لم توجه له بشكل مباشر وإنما وجهت لطرف آخر، ولكنه هو المستهدف منها، كأن تمارس الحرب النفسية على بعض أصحابه أو حلفائه والمقصود الحقيقي هو التأثير النفسي في النبي ﷺ اضافة للتأثير في هؤلاء الأشخاص ، كما أن الحرب النفسية نفذت بطريقتين أساسيتين؛ الأولى: من خلال الأقوال (الكلام)، والأخرى: من خلال الأفعال.

وقبل الشروع في تقديم النتائج الكمية لهذه الحرب النفسية، لا بد من التنبيه على أن بعض النصوص التي استشهد بها سابقاً تحتوي على أكثر من موقف حرب نفسية، ولكن الدراسة ركزت على واحد منها فقط؛ كونه يمثل الشكل الأوضح والأهم في النص، وكذلك لا بد من التنبيه على أن بعض النصوص يمكن وضعها في أكثر تصنيف، ومثاله وجود نصوص يمكن تصنيفها على أنها من باب تحييد حلفاء النبي ﷺ وبالوقت ذاته يمكن تصنيفها على أنها تخويف وترهيب، وكذلك تداخل التصنيف في قضية الاستهزاء والتجريح مع تصنيف التكذيب، وهكذا، ولكن الباحث صنفها بما يراه الأقرب والأدق؛ بناءً على المعنى العام للنص.

وبشكل عام فقد قسمت الدراسة وحدات التحليل على النحو الآتي:

الحرب النفسية التي نفذت من خلال الكلام (الأقوال)، شملت: (الاستهزاء والتجريح، التكذيب، تحريض وتخويف، استدراج، تشكيك) وتشمل هذه التقسيمات، الحرب النفسية التي وجهت مباشرة للنبي محمد ﷺ أو غير المباشرة التي وجهت لأتباعه أو لأشخاص آخرين بهدف التأثير في النبي الرسول ﷺ.

أما الحرب النفسية التي نفذت من خلال الأفعال، فشملت: (الإيذاء والمضايقات، ومحاولة تحييد حلفاء النبي ﷺ عنه)، وقضية الإيذاء والمضايقات كذلك شملت النبي ﷺ بشكل مباشر، مثلما شملت أتباعه وأنصاره. وقد جاءت نتائج الدراسة على النحو الآتي:

حرب نفسية مباشرة							حرب نفسية غير مباشرة		
من خلال الأقوال					من خلال الأفعال		من خلال الأقوال	من خلال الأفعال	
ت	استهزاء وتجريح	تكذيب	تحريض وخوف	استدراج	تشكيك	إيذاء ومضايقات	استهزاء وتخويف	إيذاء ومضايقات	تحييد الحلفاء
١								١	
٢			١						
٣			١						
٤	١								
٥		١							
٦		١							
٧		١							
٨		١							
٩		١							
١٠	١								
١١	١								
١٢						١			
١٣							١		
١٤									١
١٥								١	
١٦								١	
١٧								١	
١٨								١	
١٩								١	
٢٠								١	
٢١								١	
٢٢								١	
٢٣								١	
٢٤								١	
٢٥								١	
٢٦								١	
٢٧								١	
٢٨								١	
٢٩									١
٣٠									١
٣١									١
٣٢								١	
٣٣	١								
٣٤						١			
٣٥						١			
٣٦						١			
٣٧						١			
٣٨						١			
٣٩	١								
٤٠	١								

حرب نفسية مباشرة							حرب نفسية غير مباشرة	
حرب نفسية من خلال الاقوال				من خلال الافعال	من خلال الاقوال			
ت	استهزاء وتجريح	تكذيب	تحريض وخوف	استدراج	تشكيك	ايذاء ومضايقات	استهزاء وتخويف	ايذاء ومضايقات	تحييد الحلفاء
٤١						١			
٤٢						١			
٤٣			١						
٤٤								١	
٤٥					١				
٤٦									١
٤٧						١			
٤٨						١			
٤٩						١			
٥٠						١			
٥١			١						
٥٢								١	
٥٣				١					
٥٤					١				
٥٥				١					
٥٦					١				
٥٧			١						
٥٨				١					
٥٩				١					
٦٠					١				
٦١								١	
٦٢									١
٦٣						١			
٦٤					١				
٦٥	١								
٦٦			١						
٦٧								١	
٦٨	١								
٦٩						١			
٧٠			١						
٧١								١	
٧٢							١		
٧٣							١		
٧٤									١
٧٥								١	
٧٦								١	
٧٧								١	
٧٨								١	
٧٩			١						
٨٠			١						
م	٨	٥	٩	٤	٥	١٤	٣	٢٥	٧

وعليه فقد جاءت النتائج الكمية للدراسة على النحو الآتي:

مجموع مواقف الحرب النفسية ضد النبي ﷺ هي (٨٠) ثمانون موقفاً، منها (٤٥) خمس وأربعون حالة موجهة إلى النبي محمد ﷺ بشكل مباشر، و (٣٥) خمس وثلاثون حالة وجهت لأتباعه أو حلفائه أو المتعاطفين معه.

ومن مجموع (٣٥) خمس وثلاثين حالة حرب نفسية استهدفت النبي ﷺ بشكل غير مباشر، كانت (٣٢) اثنتان وثلاثون حالة منه معتمدة على الأفعال، و(٣) ثلاث حالات فقط معتمدة على الأقوال.

وبناءً على ما تقدم فإن الدراسة أثبتت صحة الفرضية القائلة: إن المشركين قد مارسوا حرباً نفسية منظمة ومكثفة ومتعددة الأشكال والأساليب ضد النبي محمد ﷺ في العهد المكي.

* * *

التوصيات

بعد أن أثبتت الدراسة أن المشركين قد مارسوا الحرب النفسية المنظمة ضد النبي محمد ﷺ بأشكال متعددة وأساليب متنوعة، بما يتوافق وينسجم مع الضوابط العلمية التي حددها العلماء المعاصرون المتخصصين في إدارة الحرب النفسية، يوصي الباحث بما يأتي:

١- على جميع علماء الدين والدعاة والمصلحين والمربين..، الذين لديهم أهداف سامية تتمثل في نشر القيم الإسلامية التي تبني مجتمعات متماسكة متزنة سلوكياً وفكرياً وعلمياً..، أن يعلموا أن هذا الطريق فيه من العقبات والشدائد والمحن الكثير، وعليهم أن يستعدوا نفسياً لتحمل هذه الضغوطات والمضايقات والأذى، و إلا فإن نجاحهم ومواصلتهم لهذا الطريق ستكون معرضة للانتكاسة بأقرب صدام مع المخالفين.

٢- بما أن النبي محمداً ﷺ قد استطاع أن يواجه هذا الزخم العنيف من الحرب النفسية التي استهدفته، فهذا دليل على براعته في القيادة وتدبير شؤون المسلمين؛ لذا ندعو الباحثين والعلماء والأكاديميين كل حسب تخصصه، إلى دراسة السيرة النبوية العطرة بما يتلاءم مع تخصصاتهم، فعلماء الاجتماع يقدمون لنا السلوكيات الاجتماعية في السيرة النبوية، وعلماء الاقتصاد يسلطوا الأضواء على الجانب الاقتصادي والمالي في هذه السيرة، وكذلك العسكريون، والأطباء، والتربويون، والمتخصصون في التنمية البشرية..؛ لنثبت للعالم بأسره أن سيرة نبينا ﷺ تصلح أن تكون منهج حياة يصلح لكل زمان ومكان، وإن هذه السيرة لا تصطدم مع العلوم الحديثة بل إنها تتوافق معها وتأسس لها وتدعمها.

* * *

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إبراهيم أبو عرقوب، ١٩٩٧م، **استراتيجية الحرب النفسية الأمريكية في أزمة الخليج**، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، مجلد٥، عدد٢.

٣- أبو البركات النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت.

٤- أبو العباس الصوفي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ١٤١٩هـ، القاهرة.

٥- أبو عبد الله القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٦- أبو محمد البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧- إسماعيل أبو الفداء، **روح البيان**، دار الفكر ، بيروت.

٨- حمزة خليل، **الحرب النفسية الأمريكية على العراق في حرب ١٩٩٠م- ١٩٩١م**، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م.

٩- حميدة سمسم، **الحرب النفسية مدخل**،٢٠٠٠م، بغداد.

١٠- حمزة خليل، ٢٠٠٨م، **الحرب النفسية الأمريكية على العراق في حرب ١٩٩٠م- ١٩٩١م**، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية.

١١- رمزي المنياوي، **الحرب النفسية والطابور الخامس**، ٢٠١٠م، دار الكتاب العربي، القاهرة.

١٢- شهاب الدين الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**.

١٣- صفي الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم**، ٢٠٠٥م، دار البيان العربي.

١٤- طه الزيدي، **معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي**، ٢٠١٠م، دار الفجر، بغداد.

١٥- عبد الله بن عباس، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية.

١٦- عبد الهادي الزيدي، **الحرب النفسية مفاهيم إعلامية وأحكام شرعية**،٢٠١٠م، دار الفجر، بغداد.

١٧- عمر الحيالي، **الحرب النفسية النبوية في العهد المدني**، ٢٠١٨م، كلية الإعلام، جامعة الجنان، طرابلس، لبنان.

١٨- فخري الدباغ، **الحرب النفسية**،١٩٧٩م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

١٩- فلاح المحنة، **الإعلام والرأي العام والدعاية**، مطبعة العمال المركزية، بغداد.

٢٠- لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، ١٩٩٥م، مؤسسة الأهرام، مصر.

٢١- محمد الأمين الهرري، **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ٢٠٠١م، دار طوق النجاة، بيروت.
٢٢- محمد القاضي، ٢٠٠٢م، الدعاية **السياسية والحرب النفسية**، بلا، القاهرة.
٢٣- محمد القاسمي، **محاسن التأويل**، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤- محمد بن جرجر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.
٢٥- محمد ثناء الله المظهري، **التفسير المظهري**، ١٤١٢هـ، مكتبة الرشدية، باكستان.
٢٦- مصطفى الدباغ، **المرجع في الحرب النفسية**، ١٩٩٨م، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن.
٢٧- ناصر الدين البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨- نضال الضلاعين وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، ٢٠١٥م، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان.
٢٩- نعمة الله النخجواني، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، ١٩٩٩م، دار ركابي للنشر، مصر.

* * *